السيرة النبوية [٢]

# شباب النبي
# صلى الله عليه وسلم

إعداد : أحمد حسن عرابي

منبر التوحيد والجهاد

بسم الله الرحمن الرحيم

## تمهيد

كان الشباب في مكة يلهون ويعبثون ، أما محمد صلى الله عليه وسلم فكان يعمل ولا يتكاسل ؛ يرعى الأغنام طوال النهار ، ويتأمل الكون ويفكر في خلق الله .

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم – بعد أن أوتي النبوة – ذلك العمل ، فقال : " ما بعث الله نبيّا إلا رعى الغنم " . فقال أصحابه : وأنت ؟ قال : " نعم ، كنتُ أرعاها على قراريط لأهل مكة " [ البخاري ] .

وكان الله – سبحانه – يحرسه ويرعاه على الدوام ؛ فذات يوم فكر أن يلهو كما يلهو الشباب ، فطلب من صاحب له أن يحرس أغنامه ، حتى يترل مكة ويشارك الشباب في لهوهم ، وعندما وصل إليها وجد حفل زواج ، فوقف عنده ، فسلط الله عليه النوم ، ولم يستيقط إلا في صباح اليوم التالي .

## الشاب الجاد

عندما كانت قريش تجدد بناء الكعبة ، كان محمد صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره ، فقال له العباس عمه : اجعل إزارك على رقبتك يقيك الحجارة ، ففعل ، فخر إلى الأرض ، وجعل ينظر بعينيه إلى السماء ، ويقول : إزاري .. إزاري ، فشد عليه ، فما رؤي بعد ذلك عرياناً .

# التاجر الأمين

حين جاوز النبي صلى الله عليه وسلم العشرين من عمره أتيحت له فرصة السفر مع قافلة التجارة إلى الشام . ففي مكة كان الناس يستعدون لراحلة الصيف التجارية إلى الشام ، وكل منهم يعد راحلته وبضاعته وأمواله .

وكانت السيدة خديجة بنت خويلد – وهي من أشرف نساء قريش ، وأكرمهن أخلاقاً ، وأكثرهن مالا – تبحث عن رجل أمين يتاجر لها في مالها ويخرج به مع القوم ، فسمعت عن محمد وأخلاقه العظيمة ، ومكانته عند أهل مكة جميعاً ، واحترامهم له ؛ لأنه صادق أمين ، فاتفقت معه أن يتاجر لها ، مقابل مبلغ من المال ، فوافق محمد صلى الله عليه وسلم وخرج مع غلام لها اسمه ميسرة إلى الشام .

تحركت القافلة في طريقها إلى الشام ، وبعد أن قطع القوم المسافات الطويلة ، نزلوا ليستريحوا بعض الوقت ، وجلس محمد صلى الله عليه وسلم تحت شجرة ، وعلى مقربة منه صومعة راهب ، وما إن رأى الراهب محمداً صلى الله عليه وسلم حتى أخذ ينظر إليه ويطيل النظر ، ثم سأل ميسرة : من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟

فقال ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم .

فقال الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي .

وباعت القافلة كل تجارتها ، واشترت ما تريد من البضائع .

وكان ميسرة ينظر إلى محمد ويتعجب من سماحته وأخلاقه والربح الكبير الذي حققه في مال السيدة خديجة .

وفي طريق العودة ، حدث أمر عجيب ، فقد كانت هناك غمامة في السماء تظل محمداً وتقيه الحر ، وكان ميسرة ينظر إلى ذلك المشهد ، وقد بدت على وجهه علامات الدهشة والتعجب ،

وأخيراً وصلت القافلة إلى مكة ، فخرج الناس لاستقبالها مشتاقين ؛ كل منهم يريد الاطمئنان على أمواله ، وما تحقق له من ربح .

وحكى ميسرة لسيدته خديجة ما رأى من أمر محمد ، فقد أخبرها بما قاله الراهب ، وبالغمامة التي كانت تظل محمداً في الطريق ؛ لتقيه من الحر دون سائر أفراد القافلة .

## قصة الحجر الأسود

اجتمعت قريش لإعادة بناء الكعبة ، وأثناء البناء اختلفوا فيمن ينال شرف وضع الحجر الأسود في مكانه .

واشتد الخلاف بينهم ، وكاد أن يتحول إلى حرب بين قبائل قريش ، ولكنهم تداركوا أمرهم ، وارتضوا أن يُحكِّموا أول داخل عليهم ، وانتظر القوم ، وكل واحد يسأل نفسه : ترى من سيأتي الآن ؟ ولمن سيحكم ؟ وفجأة تهللت وجوههم بالفرحة والسرور عندما رأوا محمداً يقبل عليهم ، فكل واحد منهم يحبه ويثق في عدله وأمانته ورجاحة عقله وسداد رأيه ، فهتفوا : هذا الأمين قد رضيناه حَكَما . وعرضوا عليه الأمر وطلبوا منه أن يحكم بينهم ، فخلع الرسول صلى الله عليه وسلم رداءه ووضع الحجر عليه ، ثم أمر رؤساء القبائل فرفعوا الثوب حتى أوصلوا الحجر إلى مكانه من الكعبة ، عندئذ حمله الرسول صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة ووضعه مكانه ، وهكذا كفاهم الله شر القتال .

## صفة النبي ﷺ

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخماً مفخماً ، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، عظيم الهامة ، شعره رَجِل بين الجعودة والسبوطة ، فيه تكسير قليل ، وافر

يجاوز شحمة أذنيه ، واسع الجبين ، له نور يعلوه ، كثيف اللحية ، شديد سواد العين ، سهل الخدين ، رقيق الأسنان ، بين أسنانه فتحات ، عريض الصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، ضخم رءوس العظام ، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر ، رحب الراحة ، أملس القدمين ليس فيهما تكسر ولا شقاق ، سريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من منحدر ، وإذا التفت التفت كله .

## منطقه ﷺ

كان صلى الله عليه وسلم دائم الفكر ، ليست له راحة ، لا يتكلم في غير حاجة ، طويل السكوت ، يتكلم بجوامع الكلم ، يعظم النعمة وإن كانت صغيرة ، لا يذم منها شيئاً ولا يمدحه ، لا يغضب لنفسه ، ولا ينتصر لها ، إذا أشار أشار بكفه كلها ، وإذا تعجب قلَبها ، معظم ضحكه أن يتبسم .

## دخوله ﷺ

كان صلى الله عليه وسلم إذا دخل منزله قسم دخوله ثلاثة أجزاء ، جزءاً لله ، وجزءاً لأهله ، وجزءاً لنفسه ، ثم جزء جزءه بينه وبين الناس ، فرد ذلك على العامة والخاصة ، لا يدخر عنهم شيئاً .

## مجلسه ﷺ

كان صلى الله عليه وسلم يجلس حيث انتهى به المجلس ، يعطي جلسائه نصيباً ، لا يرى في مجلسه أكرم منه ، لا ينصرف قبل أن ينصرف من كان معه ، من سأله حاجة لا يردّه إلا بها ، فإن لم يجد فبكلمة طيبة ، كل الناس عنده في مجلسه سواء ، فمجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ، ولا تذكر فيه العيوب ، وكان في مجلسه دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب

، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب ، ولا فحاش ولا عياب ، ولا كثير المـزاح ، يتغافـل عمـا لا يشتهي ، وكان صلى الله عليه وسلم في مجلسه يترك الناس من ثلاث : أن لا يذم أحداً ولا يعـيره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ، يضحك إذا ضحك الحاضرون ، ويتعجب ممـا يتعجبون ، ويصبر على قسوة الغريب في كلامه ومسألته ، ولا يقطع على أحد حديثه .

## سكوته ﷺ

كان سكوته صلى الله عليه وسلم على أربع : الحلم ، والحذر ، والتقدير ، والتفكـر ، فأمـا تقديره ففي تسويته النظر والاستماع بين الناس ، وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى ، وجُمع له صلى الله عليه وسلم الحلم والصبر .

## طعامه ﷺ

كان صلى الله عليه وسلم لا يرد من الطعام ما وجد ، ولا يتكلف في طلب ما فقد ، فما قُرّب إليه أكله ، وإن عافته نفسه لا يعيبه وتركه .

فكان صلى الله عليه وسلم يأكل ما تيسر ، فإن لم يجد ما يأكله صبر ، فكان يضع من الجوع على بطنه الحجر ، ويمر الهلال بعد الهلال ولا يوقد في بيته نار ، كانت الأرض سفرته ، يضع عليهـا طعامه ، وكان يأكل بثلاث أصابع وهو أشرف ما يكون في الأكل ، فإن المتكبر يأكل بأصبع واحدة ، والجشع يأكل بخمس .

وكان صلى الله عليه وسلم لا يأكل متكئاً ، وكان يسمي الله تعالى أول الطعـام ، ويحمـده آخره فيقول : " الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه غير مكفى ولا مودَّع ولا مـستغنى عنـه ربنـا " [ البخاري ] .

## شربه ﷺ

كان صلى الله عليه وسلم يسمّي الله قبل الشرب ، ويحمده بعده ، وكان أكثر شربه قاعداً ، بل نهى عن الشرب قائماً ، وشرب مرة قائماً ؛ ليبين أنه يجوز ذلك إذا كان لحاجة أو عذر ، وكان إذا شرب ناول من على يمينه ، حتى لو كان من على يساره أكبر منه ، لأنه صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في كل شيء .

## نومه ﷺ

كان صلى الله عليه وسلم ينام على الفراش تارة ، وعلى الحصيرة تارة ، وعلى الأرض تارة ، وعلى السرير تارة ، فعن عباد بن تميم عن عمه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقياً في المسجد واضعاً إحدى رجليه على الأخرى " [ متفق عليه ] ، وكان فراشه مصنوعاً من جلد قد حشى ليفاً ، وكان إذا أوى إلى فراشه قال : " باسمك اللهم أحيا وأموت " [ متفق عليه ] .

وكان إذا أراد النوم جمع كفيه ثم ينفث فيهما ، ثم يقرأ فيهما ( قل هو الله أحد ) و ( قل أعوذ برب الفلق ) و ( قل أعوذ برب الناس ) ثم يسمح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ، ووجهه ، وباقي جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات . [ أبو داود والترمذي ] ، وكان ينام على جنبه الأيمن ، ويضع يده اليمنى تحت خده ، ثم يقول : " اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك " [ أبو داود والترمذي ] .

وكان يقول إذا أوى إلى فراشه : " الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا ، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي " [ مسلم والترمذي ] .

وكان ينام أول الليل ، ويقوم آخره ، وربما سهر أول الليل في مصالح المسلمين ، وكانت عينه تنام ، ولا ينام قلبه ، وكان إذا نام لم يوقظوه حتى يكون هو الذي يستيقظ ، وكان إذا نام الليل ،

اضطجع على جنبه الأيمن ، وإذا نام قبيل الصبح نصب ذراعه ، ووضع رأسه على كفه [ الترمذي ] .

## ركوبه ﷺ

كان صلى الله عليه وسلم يركب الخيل والإبل والبغال والحمير ، وكان يركب وحده ، وربما أردف غيره خلفه على البعير ، وكان أكثر ما يركب الخيل والإبل ، ولم يكن عنده إلا بغلة واحدة ، أهديت له .

## بيعه وشراؤه ﷺ

كان صلى الله عليه وسلم يبيع ويشتري ، وكان شراؤه أكثر من بيعه وخاصة بعد النبوة ، ولا يحفظ له بعد الهجرة بيع إلا نادراً .

وآجر رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأجر ، وكان استئجاره أكثر من إيجاره ، وإنما يحفظ عنه أنه أجر نفسه قبل النبوة في رعاية الغنم ، وأجر نفسه من خديجة في سفره بمال إلى الشام .

وشارك صلى الله عليه وسلم غيره في التجارة ، واستدان برهن وبغير رهن ، واستعار من غيره أشياء ، واشترى حالا ومؤجلا .

## معاملته ﷺ

كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس معاملة للناس ، فكان إذا تسلف شيئاً قضى خيراً منه ، فقد جاءه رجل يتقاضاه بعيراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أعطوه " فقالوا : " لا نجد إلا سنّا أفضل من سنّه ، فقال الرجل : أوفيتني أوفاك الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أعطوه ، فإن من خيار الناس أحسنهم قضاء " [ متفق عليه ] .

وكان إذا قضى ما استلفه دعا لمن سلفه ، فقال : " بارك الله لك في أهلك ومالك ، إنما جزاء السلف الحمد والأداء " [ أحمد والنسائي وابن ماجه ] .

وكان سمحاً لمن تقاضاه ، فقد جاءه رجل يتقاضاه ، وأغلظ له القول ، فهم عمر بن الخطاب أن يضربه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مه يا عمر كنت أحوج إلى أن تأمرني بالوفاء ، وكان أحوج إلى أن تأمره بالصبر " [ الحاكم ] .

# أمور فطرته ﷺ

**التيمن** : كان صلى الله عليه وسلم يعجبه التيامن في كل شيء في ترجله وطهوره وأخذه وعطائه ، وكان يجعل اليمين لطعامه وشرابه وطهوره ، ويساره لخلائه ، وغير ذلك من إزالة الأذى .

**الحلق** : وكان يحب أن يحلق الرأس كله ، أو يترك كله ، وكان يكره أن يحلق بعضه ، ويترك بعضه .

**السواك** : وكان يحب السواك ، وكان يستاك مفطراً وصائماً ، وكان يستعمل السواك في أحيان كثيرة ، فكان يستاك عند النوم ، وعند الوضوء ، وعند الصلاة ، وعند دخول المترل ، وكان يستاك بعود الأراك .

**الطيب** : وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب ويكثر منه ، وكان صلى الله عليه وسلم لا يردّ الطيب ، فقد ورد عنه قوله صلى الله عليه وسلم : " من عرض عليه طيب فلا يرده " [ مسلم ] . وكان صلى الله عليه وسلم يكتحل ، ويختضب ، وقد سئل جابر بن سمرة – رضي الله عنه – أكان في رأس النبي صلى الله عليه وسلم شيب ؟ قال : لم يكن في رأسه شيب إلا شعرات في مفرق رأسه إذا ادّهن واراهُنَّ الدُّهن ، وكان يسرح شعره ويزينه أحياناً ، وتزينه وتسرحه عائشة – رضي الله عنها – أحياناً أخرى .

**قص الشارب** : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص شاربه ، فعن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من لم يأخذ من شاربه ، فليس منّا " [ النسائي والترمذي ] . وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم وقتاً لا يترك بعده قص الشارب ، فعن أنس قال : وقت لنا النبي صلى الله عليه وسلم في قص الشارب وتقليم الأظافر ، ألا نترك أكثر من أربعين يوماً وليلة " . [ مسلم والترمذي والنسائي ] .

## ضحكه وبكاؤه ﷺ

كان ضحك النبي صلى الله عليه وسلم تبسماً لا قهقهة ، وكان يضحك مما يضحك منه الناس ، ويضحك مما يتعجب من مثله ، أو يكون شيئاً نادر الوقوع . وأما بكاؤه صلى الله عليه وسلم فكان حاله كحال الضحك ، لا يرفع فيه صوتاً ، ولكن كانت عيناه تدمع ، ويسمع لصدره أزيز ، وكان بكاؤه تارة رحمة للميت ، وتارة خوفاً من الله ، وتارة خوفاً وشفقة على أمته ، وكان يبكي عند سماع القرآن ، ويكى عند وفاة ابنه إبراهيم ، فلما سئل عن ذلك ، قال صلى الله عليه وسلم : " تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون " [ متفق عليه ] .

## لبسه ﷺ

لم يتقيد الرسول صلى الله عليه وسلم بلبس نوع معين ، فقد كان يلبس ما تيسر له من اللباس ، سواء أكان من الصوف أو القطن أو الكتان . وكان يقول صلى الله عليه وسلم إذا لبس ثوباً جديداً : " اللهم أنت كسوتني هذا القميص أو الرداء أو العمامة ، أسألك خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره ، وشر ما صنع له " [ أبو داود وأحمد ] .

# أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد